173

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
معهد المخطوطات العربية – الكويت

اسم المخطوط رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل الماضي بالقدر، الشهادة الزكية لمن تنا الأئمة على ابن تيمية، منسوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على الشرف النسب، شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور وكلها لمرعي بن يوسف المقدسي. 1033هـ

~~اسم المؤلف~~

عدد الاوراق 153 ~~177~~ المقاس 15 X 21

مصدر التصوير دار الكتب الوطنية تونس (الصادقية)

الرقم في مصدر التصوير 8865

تاريخ التصوير 7/18/82

ملاحظات

الشبهة الواقعة لمن يفعل مثل ذلك فان مثل هذا مشكل يحتاج
لجواب يدفع شبهة من قامت عنده مثل هذه الشبهة واشكالا من
خمسة اوجه الاول حيث ان المقدر كائن لامحالة وانه لايكون الا
ماقدره الله وسبق علمه به فما فايدة العمل وهل له تاثير في دفع
المقدور وما الدليل على ذلك الثاني ان ادم قد احتج على موسى
بالقدر وقال في الحديث فحج ادم موسى اي غلبه في الحجة مع ان
العلماء قاطبة يقولون نومن بالقدر ولا نحتج به والا فلو ساغ
الاحتجاج بالقدر لكان لابليس ايضا يحتج به وفرعون ايضا يحتج
به على موسى وكذلك سائر العصاة وذلك باطل وحيث كان
كذلك فكيف ادم احتج به وسلم له احتجاجه وما وجه ذلك
الثالث ما الدليل على ابطال الاحتجاج بالقدر وذمه مع ان ادم
احتج به الرابع انه حيث لايقبل الاحتجاج بالقدر وانه
لايكون الا ما يريده الله وقدره وسبق علمه به فيلزم ان الله تعالى
يكلف العبد ما لايطيق ثم يعاقبه على ما لاطاقة له بفعله وهو ظلم مع
ان الله تعالى ايضا هو الخالق لذلك وما الحكمة في تكليف المكلفين وعقاب
العاصين الخامس حيث ان القدر سابق وان الله هو الخالق لكل شيء
وما لزم عليه الخام الانبياء عليهم السلام وانقطاع حجتهم لان النبي اذا
قال للكافر امن بي وصدقني يقول له قل للذي يعذبني يخلق في الايمان
والقدرة عليه فاومن والا فكيف اومن ولا قدرة لي عليه لانه خلق

في الكفر وانا لا اقدر على دفع ما خلقه في هذا وفي الحقيقة ان
مثل هذا بحسب الظاهر مشكل يحتاج لاجوبة قاطعة تدفع شبهات
من قامت عنده ولا فاي غرض في الرمي الى غير غرض ومثل المراد في مقام
النزاع والاستدلال الا ايراد ما يقطع النزاع والجدال من الايات
البينات والدلائل الواضحات فانها اذا اقيمت انقطع النزاع وقرب
الامر حصحص الحق ولا دفاع والا فللخصم ان يقول هذه دعوى ٥
مجردة عن الدليل فلا ارجع اليها ولا اعتمد عليها لان هذه امور ٥
اعتقادية فلا ارجع فيها الا للادلة اليقينية من النقلية والعقلية
والا فهي دعوى مجردة مقابلة بالمنع والرد وعدم القبول ٥ ٥
وقد احببت ان اذكر من الجواب ما يفتح به الفتاح الوهاب
وسميته رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر ٥
مقدمة ايدك الله تعالى ان كثيرا ممن ينتسب الى التصوف قد صدرت
منهم مقالات شنيعة واعتقادات فظيعة في هذا الزمان وقبل
هذا الزمان فمنهم من يقول ان الله تعالى يحل في قلب العارف
وينكلم بلسانه كما يتكلم المجنى على لسان المصروع ومنهم من يقول هذا
السر الذي باح به الحلاج وغيره وهذا عندهم من الاسرار التي يكتمها
العارفون ولا يبوحون بها الا لخواصهم ومنهم من يقول ان
الحلاج انما قتل لانه باح بالسر وينشد من باح بالسر كان القتل
سمته بين الرجال ولا يوخذ له ثار ومنهم من يجعل الصور

المجملة

الجميلة مظاهر الجمال الالهي ومنهم من يقول بحلول تعالى في
الصور الجميلة ويقول انه يشاهد في الامرد معبوده او صفات
معبوده او مظاهر جماله ومنهم من يسجد للامرد قال
شيخ الاسلام ابن تيمية ثم من هؤلاء من يقول بالحلول والاتحاد
العام لكنه يتعبد بمظاهر الجمال لما في ذلك من اللذة لم فيتخذ
الهه هواه قال وهذا موجود في كثير من المنتسبين الى الفقه
والتصوف ومنهم من يقول انه يرى الله مطلقا ولا يعين الصور
الجميلة بل يقولون انهم يرونه في صور مختلفة وكثير من ٥
جهال الحال يقولون انهم يرون الله عيانا في الدنيا وانهم
عرجوا به الى السماء ونحو ذلك من المقالات الشنيعة واهل السنة
متفقون على ان الله تعالى لا يراه احد بعينه في الدنيا لا نبي ولا
غير نبي ولم يتنازع الناس في ذلك الا في نبينا خاصة ٥ ٥
واما القول بالاباحة وحل المحرمات فهذا واقع من كثير ٥
منهم بل ومن غيرهم وهذا في الاصل انما هو قول الباطنية ٥
القرامطة وكثير من الفلاسفة الذين يضرب بهم المثل فيقال
فلان يستحل دمي كاستحلال الفلاسفة محظورات الشرايع ثم
تبعهم في ذلك من ينتسب للتصوف من متصوفة الملاحدة ٥
قال الامام ابن القاسم في تفسيره وانقص المراتب عند
هؤلاء مرتبة اهل الشريعة وهم الفقهاء الواقفون مع الحلال ٥

والحرام واعلى منهم مرتبة المتكلم على طريقة الجهمية والمعتزلة ثم مرتبة
الفيلسوف ثم مرتبة المحقق والمحقق في عرفهم هو القليل بوحدة
الوجود ويسمون العقل العلم ويسمون النفس الفلكية اللوح ٥
ويدعون ان ذلك هو اللوح المحفوظ في كلام الله ورسوله ولهذا ٥
يدعي احدهم انه مطلع على اللوح المحفوظ قال ابن تيمية وقد يقولون
الوجود واحد ثم يجعلون المرد ان مظاهر الجمال فيجعلون هذا
الشرك الاعظم طريقا الى الوصول الى استحلال الفواحش بل الى استحلال
كل محرم كما قيل لبعض مشايخهم اذا كان قولكم بان الوجود واحد هو
الحق فما الفرق بين الاجنبية وبين امي واختي وبنتي حتى يكون ٥
هذا حلالا وهذا حراما فقال الجميع عندنا سواء ولكن هؤلاء
المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم قال وهذا يجد الواحد
من هؤلاء ينكر على من ينكر المنكر ويقول هذا مقدر عليهم ويقول
بعض مشايخهم انا كافر برب يعصى ويقول لو قتلت سبعين نبيا
ما كنت مخطيا ويقول شاعرهم
اصبحت منفعلا لما تختان ٥ مبني فعلي كله طاعات
ومنهم من يقول ان العبد اذا بلغ غاية المحبة وصفا قلبه واختار
الايمان على الكفر سقط عنه الامر والنهي ومنهم من يقول انه تسقط
عنه العبادات الظاهرة وتكون عباداته التفكر وكل هؤلاء لا يعتزل
عن الاسلام ومنهم كما قيل

وما

وما انتسبوا الى الاسلام الا ٥ لصون دمائهم ان لا تسالا ٥
فيأتون المعاصي في نشاط ٥ ويأتون الصلاة وهم كسالى ٥
قال ابن تيمية ومنهم طايفة ظنت ان كل ما خلقه الله فقد
احبه وهؤلاء قد يخرجون الى مذاهب الاباحة ايضا فيقولون انه
تعالى يحب الكفر والفسوق والعصيان ويرضى ذلك وان العارف
اذا شهد هذا الحكم يستغرق في سبة لشهود القيومية العامة وخلق
الرب لكل شي ويقول شاعرهم
ما الامر الا نسق واحد ٥ ما فيه من حمد ولا ذم ٥
قال وهذا غلط عظيم فان الكتاب والسنة واتفاق سلف الامة صريح
بان الله يحب انبياءه واولياءه وما امر به ولا يحب الشياطين والكافر
ولا ما نهى عنه قال ومن المدعين للمعرفة والحقيقة والفنا الذين
يطلبون ان لا يكون لهم مراد مع الحق بل يريدون ما يريد الحق ٥
من يقول ان الكمال ان تفنى عن ارادتك وتبقى مع ارادة ربك ٥٥
وليست الطاعات عندهم سببا للثواب ولا المعاصي سببا
للعقاب والعارف عندهم من يكون مشاهدا سبق الحق بحكمه
وعلمه اي يشهد انه علم ما سيكون وحكم به اي اراده وقضاه ٥
وكثير وكثير من اهل هذا المذهب يتركون الاسباب الدينوية
ويجعلون وجود السبب كعدمه وقد قال الامام احمد في
قوم لا يعملون بالتكسب ويقولون نحن متوكلون هؤلاء مبتدعة

ومنهم قوم زنادقة يتركون الاسباب الاخروية ويقولون
ان سبق العلم والحكم انا سعداء فنحن سعداء وان سبق انا اشقيا
فنحن اشقيا فلا فايدة في العمل فيتركون العمل بنا على هذا الاصل
الفاسد اذا تقرر هذا فالجواب عن الاول وهو انه
حيث المقدر كاين لا محالة فما فايدة العمل وهل له تاثير في رفع المقدور
الى اخره فنقول لا ريب ان المقادير سابقة وقد جرى القلم بما
هو كاين الى الابد قال الامام النووي في شرح مسلم ان الله تعالى
قدر مقادير الخلق وما يكون من الاشيا قبل ان يكون في الازل وعلم
سبحانه انها ستقع في اوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة
فهي تقع على حسب ما قدرها وقال الشيخ تقي الدين بن تيمية
ان علم الله تعالى السابق محيط بالاشيا على ما هي عليه ولا محو فيه
ولا تغيير ولا زيادة ولا نقص فانه سبحانه يعلم ما كان وما يكون
وما لا يكون لو كان كيف كان يكون ولما ما جرى به القلم في اللوح
المحفوظ فهل يكون فيه محو واثبات على قولين للعلما قال واما
الصحف التي بيد الملايكة فيحصل فيها المحو والاثبات انتهى وقد
بسطت الكلام على هذا في كتابي انحاف ذوي الالباب في قوله
تعالى يمحو الله ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب وفي صحيح مسلم عن
عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات

والارض

والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماو في حديث
الامام احمد والترمذي قدر المقادير قبل ان يخلق السموات ٥
والارض بخمسين الف سنة وحديث احمد ومسلم عن ابن عمر كل شي
بقدر حتى العجز والكيس وفي القران العزيز ما اصاب من مصيبة
في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها وفيه
ايضا قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا والايات والاحاديث في مثل
هذا كثيرة والمقصود هنا ان من شهد هذا المشهد فشهوده
حق لكن وراء هذا المشهد مشهد اخر وهو ان يشهد المقادير مقدرة
باسبابها لا انه يشهدها مجردة عن الاسباب فان شهد ذلك ٥
كان شهوده ناقصا اعمى ويلتزم الغلط من ان الاعمال لا تنفع وان
الاسباب لا تفيد وهو قول مبني على اصل فاسد ولا ريب ان هذا
الاصل الفاسد الذي وقع فيه بعض المتصوفة ومن التحق بهم هو
مخالف للكتاب والسنة وايمة الدين ومخالف لصريح المعقول ٥
ومخالف للحس والمشاهدة فان الله تعالى اجرى عادته الالهية في
هذا العالم على اسباب وسببات تناط بتلك الاسباب وينسب
ايضا وقوعها اليها نظرا للصورة الوجودية وان كان الكل
في الحقيقة بقضايه وقدره باعتبار الحقيقة الايجادية وقد سيل
النبي صلى الله عليه وسلم عن اسقاط الاسباب فنظر الى القضا والقدر
السابق فرد عليه السلام ذلك كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم

انه قال ما منكم من احد الا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار
قالوا يا رسول الله افلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا
فكل ميسر لما خلق له وفي صحيح مسلم من حديث علي بن ابي طالب
عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه قال ما من نفس منفوسة الا وقد
كتب الله مكانها من الجنة والنار الا وقد كتب شقية او سعيدة فقال
فقال رجل يا رسول الله افلا نمكث على كتابنا وندع العمل فقال من كان
من اهل السعادة فسيصير الى عمل اهل السعادة ومن كان من اهل
الشقاوة فسيصير الى عمل اهل الشقاوة اعملوا فكل ميسر لما خلق له
وروى الامام ابو حنيفة عن عبد العزيز بن رفيع عن مصعب بن
سعد بن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس
الا وقد كتب الله مخرجها ومدخلها وما هي لاقية فقال رجل من الانصار
ففيم العمل يا رسول الله فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما اهل الشقا
فييسرون لعمل اهل الشقاوة واما اهل السعادة فييسرون لعمل
اهل السعادة فقال الانصاري الان حق العمل وفي السنن انه
صلى الله عليه وسلم قيل له ارايت ادوية نتداوى بها ورقى نسترقي بها
وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيا فقال عليه السلام هي من
قدر الله تعالى ولما رجع عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن دخول
دمشق من اجل الطاعون قال له ابو عبيدة كما في الصحيحين وانت ذاهب
ذلك لهرب الشام افرارا من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا ابا عبيدة

نعم

نعم نفر من قدر الله الى قدر الله فرد ذا كله امر رسول الله وكلام صاحب
صريح ان السبب والمسبب بقدر الله تعالى وقال الله تعالى وقل
اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله وقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا والايات في هذا كثيرة وقال الامام ابن حزم رحمه الله
في الملل والنحل صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصحيح الطب والامر
بالعلاج وانه عليه السلام قال تداووا فان الله تعالى لم يخلق داء الا خلق
له دواء الا السام والسام الموت قال فاعترض قوم فقالوا قد سبق
علم الله عز وجل بنهاية اجل المرء ومدة صحته ومدة سقمه فاي معنى
للعلاج قال فقلنا لهم نسالكم هذا السؤال نفسه في جميع ما يتحرش
فيه الناس من الاكل والشرب واللباس لطرد البرد والحر والسعي في المعاش
بالحرث والغرس والقيام على الماشية والتحرف بالتجارة والصناعة
ونقول لهم قد سبق علم الله تعالى بنهاية اجل المرء ومدة صحته ومدة
سقمه فاي معنى لكل ما ذكرنا فلا جواب لهم الا ان يقولوا ان علم
الله تعالى قد سبق ايضا بما يكون من كل ذلك وبانها اسباب الى
بلوغ نهاية العمر المقدر فنقول لهم وهكذا الطب قد سبق في علم
الله تعالى ان هذا العليل يتداوى وان تداويه سبب الى بلوغ نهاية
اجله فالعلل مقدرة والزمان مقدر والموت لمقدر والعلاج
مقدر ولا مرد لحكم الله ونافذ علمه في كل شيء من ذلك وقال
العلامة ابن القيم بعد تقرير نفع الدعاء والامر به ودفعه للبلا

وقد اعترض قوم بان المدعو به ان كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه
دعا به العبد او لم يدع لان كل مقدر كائن كما دلت عليه الايات
الصريحة والاحاديث الصحيحة وان لم يكن قدر لم يقع سأل العبد
او لم يسأله فطنت طائفة صحة هذا الكلام فتركت الدعاء وقالوا
لا فايدة فيه قال وهو لاء مع فرط جهلهم وضلالتهم متناقضون فان
مذهبهم يوجب تعطيل جميع الاسباب فيقال لاحدهم ان كان الشبع
والري قد قدرا لله فلا بد من وقوعهما اكلت او لم تاكل شربت او لم
تشرب فلا حاجة للاكل والشرب وان كان الولد قد قدر لك فلا
بد منه وطيت الزوجة والامة او لم تطا وان لم يقدر لم يكن فلا
حاجة للتزويج والتسري فهل يقول هذا عاقل او ادمي بل البهيم
البهيم مفطور على مباشرة الاسباب التي بها قوامه ونفعه
واجتناب التي بها ضرره فالحيوانات اعقل وافهم من هؤلاء الذين
هم كالانعام بل هم اضل سبيلا قال وعلى هذا فالدعاء من اقوى الاسباب
فاذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء يصح ان يقال لا فايدة في الدعاء
كما لا يقال لا فايدة في الاكل والشرب وجميع الحركات والاعمال وقال
ابن تيمية والناس قد اختلفوا في الدعاء المستعقب بقضاء الحاجات
فزعم قوم من المبطلين من الفلسفة والمتصوفة انه لا فايدة فيه
اصلا فان المشيئة الالهية والاسباب العلوية اما ان تكون قد
اقتضت وجود المطلوب وحينيذ فلا حاجة الى الدعاء اولا

تكون

تكون اقتضته حينيذ فلا ينفع الدعاء وقال قوم ممن يتكلم في العلل
الدعاء علامة ودلالة على حصول المطلوب وجعلوا ارتباطه ٥
بالمطلوب لارتباط الدليل بالمدلول لا ارتباط السبب بالمسبب
قال والصواب ما عليه الجمهور من ان الدعاء سبب لحصول الخير
المطلوب كسائر الاسباب المقدرة والمشروعة واذا اراد الله
بعبد خيرا الهمه دعاءه والاستعانة به وجعل استعانته ودعاءه سببا
للخير الذي قضاه له كما ان الله تعالى اذا اراد ان يشبع عبدا او يرويه
الهمه ان ياكل ويشرب واذا اراد ان يتوب على عبد الهمه ان يتوب
فيتوب عليه واذا اراد ان يرحمه او يدخله الجنة يسره لعمل اهل الجنة
والمشيئة الالهية اقتضت وجود هذه الخيرات باسبابها المقدرة
لها كما اقتضت دخول الجنة بالايمان ودخول النار بالكفر وحصول
الولد بالوطء والعلم بالتعلم لكن ليس كل ما يظنه الانسان سببا يكون
سببا كما قد بسطت الكلام على هذا في كتابي شفاء الصدور في زيارة
المشاهد والقبور والمقصود هنا انما هو بيان ان الطاعات
سبب للثواب والمعاصي سبب للعقاب خلافا للمتصوفة الا با
كما ان سبحانه جعل ارسال الرسل سببا لهداية المومنين واقامة حجة
الله على الكافرين ولولا ارسال الرسل ما حصلت هداية المومن ولا
قامت حجة الله على كافر والحاصل ان الاسباب وتاثيرها بمشية الله
مما لا ينكر وان كان الله تعالى هو خالق السبب والمسبب لا سيما وقد

دل العقل والنقل والفطر وتجارب الامم على اختلاف اجناسها
ومللها ونحلها على ان التقرب الى رب الارباب وطلب مرضاته
والاحسان الى خلقه من اعظم الاسباب الجالبة لكل خير واضدادها
من اكبر الاسباب الجالبة لكل شر فما استجلبت نعم الله واستدفعت
نقمه بمثل طاعته والتقرب اليه والاحسان الى خلقه وقد رتب الله
سبحانه حصول الخير والشر في الدنيا والاخرة في كتابه العزيز على الاعمال
ترتب الجزاء على الشرط والعلة على المعلول والمسبب على السبب فقال
تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سياتكم ويغفر لكم
وقال ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم وقال لئن شكرتم
لازيدنكم الاية وقال من يعمل سوءا يجز به وقال فلولا انه كان من
المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وبالجملة فالقران من اوله
الى اخره صريح في ترتب الجزا بالخير والشر والاحكام الشرعية مترتبة
على الاسباب بل احكام الدنيا والاخرة ومصالحهما ومفاسدهما على
الاسباب والاعمال ومن فقه في هذه المسئلة وتاملها حق التامل
انتفع بها غاية النفع ولم يتكل على القدر جهلا منه وعجزا وتفريطا
واضاعة فيكون توكله عجزا وعجزه توكلا بل الفقيه العارف هو
الذي يرد القدر بالقدر ويجلب القدر بالقدر ويعارض القدر
بالقدر بل لا يمكن الانسان ان يعيش الا بذلك فان الجوع
والعطش والبرد وانواع المخاوف والمحاذير كلها من القدر والخلق

كلهم

كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر وهكذا من وفقه الله
تعالى والهمه رشده فانه يدفع قدر العقوبة الاخروية بقدر
التوبة والايمان والاعمال الصالحة فان وزان القدر المخوف في
الاخرة وزان القدر المخوف في الدنيا فرب الدارين واحد
وحكمته واحدة لا يناقض بعضها بعضا ولا يبطل بعضها بعضا
وهذه المسئلة من اشرف المسايل لمن عرف قدرها ورعاها حق
رعايتها فتبين بما تقرر ان الله تعالى جعل للسعادة والشقاوة
اسبابا وانه سبحانه هو مسبب الاسباب وخالق كل شي بسبب كما
اقتضت ذلك حكمته ومشيته وان الاسباب لا بد منها في وجود
المسببات بمعنى ان الله تعالى لا يحدث المسببات ويشاوها الا
بوجود الاسباب لكن الاسباب كما قال فيها الامام الغزالي
والحافظ ابن الجوزي وغيرهما الالتفات الى الاسباب شرك
في التوحيد والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع والتوكل
معنى يلتيم بمعنى التوحيد والعقل والشرع فالمومن المتوكل يباشر
الاسباب كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم وقال
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ولا يلتفت اليها بمعنى انه لا يطمين اليها
ولا يثق بها ولا يرجوها ولا يخافها فانه ليس في الوجود سبب مستقل
بحكم بل كل سبب فهو مفتقر الى امور اخر تنضم اليه كالاخلاص والقبول
مثلا وله موانع وعوايق تمنع موجبه ومقتضاه فكم سبب مستقل بنفسه

الاشيئة الله وحده فما كان وما لم يشأ لم يكن وما سبق به علمه
وحكمه فهو حق واقع وقد علم وحكم ان الشيء الفلاني يقع بالسبب
الفلاني فمن شهد وقوع الولد وحصوله المقدر بسببه الذي
هو الوطء فشهوده كامل ومن شهد حصول ولد له بلا وطء فشهوده
ناقص اعمى نور الله تعالى بصيرتنا ورزقنا الايمان بما قاله الله و
ورسوله آمين واما الجواب عن الثاني وهو ان ادم قد
احتج على موسى بالقدر الى اخره فنقول نعم قد ورد ذلك في
الحديث الصحيح لكن ليس هو على معنى ما يتوهمه الاباحية المحتجون
على فعل المعاصي بالقدر كما سيأتي واحتجاج ادم وموسى عليهما
السلام قد رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة وروي
ايضا باسناد جيد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج ادم
وموسى وفي لفظ ان موسى قال يا رب ارنا ادم الذي اخرجنا من
الجنة بخطيئته فقال موسى يا ادم انت ابو البشر خلقك الله بيده
ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته لما ذا اخرجتنا ونفسك
من الجنة فقال له ادم انت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه و
وكتب لك التوراة بيده فبكم تجد فيها مكتوبا وعصى ادم ربه
فغوى قبل ان اخلق قال بار بعين سنة وفي لفظ قال اتلومني
على امر قد قدره الله علي قبل ان اخلق بار بعين سنة قال فحج ادم
موسى قال شيخ الاسلام ابن تيمية فهذا الحديث ظن فيه طوايف

ان

ان ادم احتج بالقدر على الذنب وانما حج موسى بذلك فطايفة ب
من هؤلاء لا يدعون التحقيق والعرفان يحتجون بالقدر على الذنو
مستدلين بهذا الحديث وطايفة يقولون الاحتجاج به ٥
سايغ في الاخرة لا في الدنيا وطايفة يقولون هو حجة للخاصة
المشاهدين للقدر دون العامة وطايفة كذبت به كالجهاي
وغيره وطايفة تاولته تاويلات فاسدة مثل قول بعضهم انما حج
لانه كان تاب وقول اخر كان ابا ه والابن لا يلوم اباه وقول اخر كان
الذنب في شريعته واللوم في شريعتي قال وهذا كله تعريج عن مقصود
الحديث وحاصل ما يوخذ من كلام ابن تيمية ومن ظاهر الحديث
ان ادم انما حج موسى لكونه كان قد تاب من الذنب الصدوري واستسلم
للمصيبة التي لحقت الذرية بسبب اكل المقدر عليه فالحديث تضمن
التسليم للقدر عند المصايب وعدم لوم المذنب التايب وان المومن
مامور ان يرجع الى القدر عند المصايب لا عند الذنوب والمعا يب
فيصبر على المصايب ويستغفر من الذنوب كما قال تعالى فاصبر
ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وقال تعالى ما اصاب من
مصيبة الا باذن الله ومن يومن بالله يهد قلبه قالت طايفة من
السلف كابن مسعود هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند
الله فيرضى ويسلم وقال غير واحد من السلف لا يبلغ العبد حقيقة
الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ٥

ليصيبه فالايمان بالقدر والرضا بما قدر الله من المصايب
والتسليم لذلك هو من حقيقة الايمان واما الذنوب فليس
لاحد ان يحتج على فعلها بقدر الله بل عليه ان لا يفعلها واذا
فعلها فعليه ان يتوب منها كما فعل ادم عليه السلام قال
بعض السلف اثنان اذنبا ادم وابليس فادم تاب فتاب
الله عليه واجتباه وابليس اصر على معصيته واحتج بالقدر
فلعن وطرد فمن تاب من ذنبه اشبه ادم ومن اصر واحتج بالقدر
اشبه ابليس ومن تاب لا يحسن لومه على ذنبه الذي صدر منه
وكيف يلام على سياق كلها حسنات لقوله تعالى فاولئك يبدل
الله سيئاتهم حسنات ومن لم يتب يلام ولا يحسن منه ان يحتج على اصراره
بالقدر لانه لو كان القدر حجة لكان حجة لابليس وفرعون وسائر
الكفار وايضا فادم وموسى اعلم بالله من ان يحتج احدهما على فعل
المعصية بالقدر ويقبل الآخر اذ لا تلبس لادم بمعصية حال
الاحتجاج وايضا فلو كان ذلك مقبولا لكان لابليس الحجة بذلك
ايضا وكان لفرعون الحجة على موسى بذلك ايضا وكذلك سائر
الكفار واعلم ان موسى عليه السلام لم يلم ادم على ذنبه الذي
تاب منه فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له وموسى اعلم بالله
من ان يلوم تائبا فكيف بابيه ادم الذي تاب الله عليه واجتباه
وانما لامه لاجل ما لحق الذرية من المصيبة المستمرة والمصيبة تقتضي

نوعا

نوعا من الجزع يقتضي لوم من كان سببها كما يلام من اوقع اصحابه
في مشقة وهذا لم يقل له موسى لماذا اكلت من الشجرة وانما قال
له لماذا اخرجتنا ونفسك من الجنة وهذا اللفظ قد روي
في بعض طرق الحديث وان لم يكن في جميعها فهو بين لما
وقعت عليه الملامة فتامل فظهر بما تقرر ان احتجاج ادم
على موسى بالقدر والحج موسى به ليس هو على معنى ما يتوهمه
الاباحية والزنادقة بل على المعنى المتقدم الظاهر لكل مسلم سليم
واما الجواب عن الثالث وهو الدليل على
ابطال الاحتجاج بالقدر وذمه مع ان ادم احتج به فنقول
اما دعوى ان ادم عليه السلام احتج على فعل المعاصي بالقدر
فهو قول باطل وافتراء لما تقدم والاحتجاج بالقدر على فعل
الذنوب والمعاصي باطل باتفاق اهل الملل وذوي العقول
وهو مما يعلم بطلانه بصريح العقل فان الظالم لغيره لو احتج
بالقدر لاحتج ظالمه ايضا بالقدر فان كان القدر حجة لهذا
فهو حجة لهذا قال ابن تيمية في رده على الرافضة والاباحية
ان الاحتجاج بالقدر حجة باطلة دحضة باتفاق كل ذي عقل
ودين من جميع العالمين والمحتج به لا يقبل من غيره مثل هذه الحجة
اذا احتج بها في ظلم ظلمه اياه او ترك ما يجب عليه من حقوقه بل
يطلب منه ما له عليه ويعاقبه على ذلك لان القلوب تعلم بالضرورة

ان هذه شبهة باطلة ولهذا لا يقبلها احد من احد عند التحقيق وانما
يحتج بالقدر على القبايح والمظالم من يهوننا فض في قوله متبع
لهواه كما قال بعض الحلما انت عند الطاعة قدري وعند المعصية
جبري اي مذهب وافق هواه ان تمذهبت به ولو كان القدر حجة
لفاعل الفواحش والمظالم لم يحسن ان يلوم احدا احدا ولا يعاقب
احدا اجدا وكان للانسان ان يفعل في دم غيره ومال واهله
ما يشتهيه من المظالم والقبايح ويحتج بان ذلك مقدر علي ٥
ثم اصل الاحتجاج بالقدر انما هو قول المشركين الذين اتبعوا ٥
اهواهم بغير علم ولهذا لما قال المشركون كما حكى الله عنهم وقال
الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء
قال الله تعالى قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا
الظن وان انتم الا تخرصون فان هؤلاء المشركين يعلمون بفطرتهم
وعقولهم ان هذه الحجة داحضة باطلة فان احدهم لو ظلم الاخر في
ماله او فجر بامراته او قتل ولده او كان مصرا على الظلم فنهوه عن ذلك
فقال لو شاء الله لم افعل هذا لم يقبلوا منه هذه الحجة ولا يرى
يقبلها من غيره وانما يحتج بها المحتج دفعا للوم بلا وجه ولهذا قال
الله لهم قل هل عندكم من علم بان لهذا الشرك والتحريم من امر الله وانه
مصلحة ينبغي فعلم ان تتبعون الا الظن فانه لا علم عندكم بذلك
ان تظنون ذلك الا ظنا وان انتم الا تخرصون تخرزون وتفترون

فهمتكم

فهمتكم في نفس الامر ظنكم وحزصكم واتباع اهوايكم لا كون الله
شاء ذلك وقدره فان امر غايب عنا ولان مجرد المشية والقدر
لا يكون عمدة لاحد في الفعل ولا حجة به لاحد على احد اذ الناس كلهم
شتركون في القدر فلو كان هذا حجة لم يحصل فرق بين العادل
والظالم والصادق والكاذب والعالم والجاهل والبر والفاجر
ولم يكن فرق بين ما يصلح الناس من الاعمال وما يفسدهم وما
ينفعهم ويضرهم ولهذا المشركون انما يحتجون بالقدر على ترك ٥
ما امر الله به رسله من توحيده والايمان به ولو احتج به بعضهم على
بعض في اسقاط حقوقه ومخالفة امره لم يقبل منه بل كان مولا
المشركون المحتجون بالقدر يذم بعضهم بعضا ويعادي بعضا
ويقاتل بعضهم بعضا على فعل ما يرونه تركا لحقهم او ظلما لهم فلما
جاء الرسول يدعوهم الى حق الله على عباده وطاعة امره ومخا لفة
اهوايهم احتجوا بالقدر على ذلك اتباعا للظن وما تهوي الانفس
فتبين ان اصل مقالة الاحتجاج بالقدر انما هو قول اهل
الجاهلية المشركين الذين لا علم عندهم الا اتباع الظن وما تهوي
الانفس فمن احتج به فقد التحق بهم في الجهل والضلال واتباع الهوى
ولهذا نجد المحتجين به والمستندين اليه من المتصوفة والفقرا ومن
التحق بهم من العامة والجند والفقها وغيرهم انما يحتجون به عند
اتباع الظن وما تهوي الانفس فاذا امرا حدهم بما يجب عليه

او نهي عاحرمه الله تعالى تعلل بالقدر وقال حتى يقدر الله لي
ذلك او يقدر ربي الله علي ذلك او قضى الله علي بذلك فاي حجة
في دفعه وهو متلبس به ولو كان معهم علم وهدى لم يحتجوا بالقدر
اضلا وهذا اصل شريف من اعتنى به عرف منشا الضلال
والغي لكثير من الناس ولهذا تجد المشايخ الصالحين من الصوفية
المتبعين للعلم والهدي كثيرا ما يوصون اتباعهم بالعلم والشرع
لانه كثيرا ما تعرض لهم ارادات في اشيا ومحبة لها فيتبعون
فيها اهواهم ظانين انها دين الله وليس معهم الا الظن والذوق
والوجد الذي يرجع الى محبة النفس وارادتها فيحتجون
تارة بالقدر وتارة بالظن والخرص وهم في الحقيقة انما هم
متبعون اهواهم بغير هدى من الله ولهذا كان المحتجون
بالقدر على فعل المعاصي اعظم بدعة واشنع قولا واقبح طريقة
من المكذبين بالقدر من المعتزلة والشيعة والرافضة فان
هؤلا بتعظيمهم الامر والنهي والوعد والوعيد خير من الذين
يرون القدر حجة لمن ترك المامور وفعل المحظور فلا ريب ان
هؤلا شر من المعتزلة والشيعة الذين يقرون بالامر والنهي
والوعد والوعيد وفعل الواجبات وترك المحرمات وان لم يقولوا
ان الله خلق افعال العباد ولا يقدر على ذلك ولا شا المعاصي
فانهم قد قصدوا التعظيم الامر وتنزيه الله عن الظلم واقامة

حجة الله على خلقه بخلاف هؤلا المحتجين على المعاصي بالقدر
فانهم وان اثبتوا قدرته تعالى ومشيته وخلقه لكنهم عارضوا
بذلك امره ونهيه ووعده ووعيده وقولهم يقتضي افحام الرسل
وان لا حجة لله على خلقه وقد قال سبحانه قل فلله الحجة البالغة
بارسال الرسل وانزال الكتب فلا حجة عليه لاحد بعد ذلك
ثم اثبت تعالى القدر بقوله بعد ذلك فلو شا لهداكم اجمعين
فاثبت سبحانه الحجة الشرعية وبين المشية القدرية وكلاهما حق
وقال تعالى في سورة النحل وقال الذين اشركوا لو شا الله ما
عبدنا من دونه من شي نحن ولا اباونا ولا حرمنا من دونه من
شي كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين
فبين سبحانه ان هذا الكلام تكذيب للرسل فيما جاوا به وليس هو
بحجة بل معاندة ومكابرة وتعريج عن الحق فالقدرية ونحوهم ممن
لم يقل ان الله تعالى خالق لافعال العباد وان اشبهوا المجوس
وانهم مجوس هذه الامة لكن هؤلا المحتجون بالقدر اخس منهم
لانهم اشبهوا المشركين المكذبين للرسل الذين قالوا لو شا الله
ما اشركنا وايضا فقد قال ابن تيمية انه كان في اواخر عصر الصحابة
جماعة من هؤلا القدرية واما المحتجون بالقدر فلا يعرف لهم
طايفة من طوايف المسلمين معروفة وانما كثروا في المتاخرين
وسموا هذا حقيقة وجعلوا الحقيقة تعارض الشريعة ولم يميزوا

بين الحقيقة الشرعية التي تتضمن تحقيق احوال القلوب كالاخلاص
والصبر وبين الحقيقة الكونية القدرية التي نؤمن بها ولا نحتج بها
على المعاصي وفيهم من يقول ان العارف اذا فني في شهود توحيد
الربوبية لم يستحسن حسنة ولم يستقبح سيئة ويقول بعضهم من
شهد الارادة سقط عنه الامر والنهي ويقول بعضهم ان الخضر عليه
السلام انما سقط عنه التكليف لانه شهد الارادة الى غير ذلك من كلامهم
القبيح وبالجملة فالباري سبحانه قد ارسل الرسل فاطبة بتحصيل الصالح
وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها والمحتجون بالقدر على فعل المعاصي
انعكس الامر في حقهم فصاروا يتبعون المفاسد ويعطلون
المصالح فهم شر الناس ولا بد لهم مع ذلك من امور يجتلبونها وامور
يجتنبونها وان يتدافعوا جميعا ما يضرهم من الظلم فلو ظلم بعضهم بعضا
في دمه وماله وعرضه وطلب المظلوم عقوبة الظالم لم يقبل احد من ذوي
العقول احتجاجه بالقدر ولو قال اعذروني فان هذا مقدر علي
لقالوا له انت لو فعل بك هذا فاحتج عليك ظالمك بالقدر لم تقبل
منه لانه لا يمكن صلاح الخلق ولا بقاؤهم في الدنيا اذا امكنوا كل احد
ان يفعل ما يشاء من مفاسدهم ويحتج بالقدر لان قبول هذه الحجة
من المفسد يوجب الفساد الذي لا صلاح معه واذا كان الاحتجاج
بالقدر مردودا في فطر جميع الناس وعقولهم فلا يحتج به الا متبع
لهواه فاسق وان استحل ذلك فهو زنديق ملحد مارق نسأل الله

تعالى

تعالى العافية والسلامة في الدين امين قلت ومن هنا يعلم
جواب ما كنت اوردته في كتابي البرهان في تفسير القرآن من انه
مشكل علينا الجواب لابليس لو قال ان خالق الاشياء خلقني كما
شاء وجدني لما شاء واستعملني فيما شاء وقدر علي ما شاء فلم اداخل ان اشاء
الا ما شاء فما تجاوزت ما شاء ولا فعلت غير لما شاء ولو شاء لرد بي الى
ما شاء وهداني لما شاء ولكنه شاء ان اكون كما شاء ولو شاء ربك لامن من
في الارض كلهم جميعا يا هذا سبق بي قبل كون الاكوان وكان من الكافرين
فما برحت في الازل كافرا ولم ازل فاذا كانت كافة كفري سبقت كوني
فمن يكون على القضاء عوني ومن يطيق من القدر صوني وما حيلة من
ناصيته في قبضة من قهر وقلبه بيد القدر وامره راجع الى القدر
وقد قضي الامر وجف القلم ويعلم ايضا الجواب لكافر قال يا رب انك
علمت مني الكفر وانا لا اقدر على ان اقلب علمك جهلا وانك اخبرت
عن وجود هذا الكفر مني وانا لا اقدر على ان اجعل خبرك الصدق
كذبا وانك خلقت في الكفر وانا لا اقدر على ازالته فقلت فهذه
كلها احتجاجات واهية باطلة وان كانت بحسب الظاهر هابلة
لما قدمنا تقريره من المستقر في فطر الناس وعقولهم انه من طلب
منه فعل من الافعال الاختيارية لم يكن له ان يحتج بمثل هذا ومن طلب
ضيا له على احزم لم يكن له ان يقول لا اعطيك حتى يخلق الله في الاعطاء
او يقدره لي ومن امر عبده بامر لم يكن له ان يقول لا افعله حتى

يخلق الله في فعلوا القدر على ذلك وهذا امر جبل عليه الناس مسلمهم
وكافرهم مقرهم بالقدر ومنكرهم ولا يخطر ببال احدهم الاعتراض
بمثل هذا ولا الاحتجاج به وكذلك المحتاج للطعام والشراب واللباس
فانه لا يقول لا اكل ولا اشرب ولا البس حتى يخلق الله في ذلك لو يقدر
بل يجتهد في مباشرة ذلك والله تعالى هو الذي يعنيه عليه فتامل ولا
تغتر بزخارف الكلام ولا ارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المناقد
لما جاءت به الشرايع وما احد من الخلق يعد وعلم الله السابق فيه وليس
وليس في علم الله الامور قبل وقوعها اجبارا كما توهمه كثير من الناس ٥
والله تعالى اعلم واما الجواب عن الرابع وهو انه
حيث لا يقبل الاحتجاج بالقدر وانه لا يكون الا ما يريد الله فانه يلزم
ان الله تعالى يكلف العبد ما لا يطيق ثم يعاقبه عليه وهو ظلم مع ان
الله تعالى هو الخالق لذلك الى اخره فنقول هذه مسئلة
يكثر فيها الخوض ويتحير فيها العقل ويتخبط فيها الفهم وتحتاج الى
كلام كثير وقد اختلفت اقوال الطوايف في مثل هذا فمذهب
اهل الحق ان الرب سبحانه منفرد بخلق المخلوقات ولا خالق سواه
ولا مبدع غيره وكل حادث فانه محدثه وقالت المعتزلة ان جميع
افعال العباد من حركاتهم وسكناتهم وافوالهم وافعالهم لم يخلقها الله
اختلفوا فقالت طايفة خلقها الذين فعلوها دون الله وقال
اخرون ليست مخلوقة ولكنها افعال موجودة لا خالق لها وقال

اخرون

اخرون هي فعل الطبيعة وقال الذين زعموا ان العباد خلقوا
ان وقوع الافعال من العبد على وفق قصده وداعيته اقاموا اجماعا
دليل على انه موجدها ومخترعها قالوا ولو لا ذلك لكانت التكاليف كلها
واقعة على خلاف الاستطاعة وتكليفا بالمحال وكان لا يحسن مدح
ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب وهو خلاف مقتضى العقل والشرع ٥٥
والعرف ونقل عن الامامية هل افعال العباد خلق لهم او خلق لله على
قولين ونقل الاشعري عن الزيدية انهم فرقتان فرقة تزعم ان افعال
العباد مخلوقة لله خلقها وابدعها وفرقة تزعم انها مخلوقة لله وانها
كسب للعباد احدثوها واخترعوها وفعلوها ومذهب الجهمية
ان جميع انواع الطاعات والمعاصي والكفر والفسوق واقعة بقضاء
الله وقدره ثم اختلفوا فقالت طايفة ان العبد لا قدرة له ٥
البتة وهم الجبرية ومنهم من بالغ فزعم ان حركة العبد بمنزلة حركة الاشجار
مع الرياح وقالت طايفة العبد غير مجبور على افعاله بل هو قادر عليها
مكتسب لها ومعنى كونه مكتسبا انه قادر على فعل وان كانت قدرته
لا تاثير لها في ذلك قال ابن تيمية وهذا قول بعض المثبتة للقدر
كالاشعري ومن وافقه من الفقهاء من اصحاب مالك والشافعي ٥
واحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبايع ويقولون
ان الله فعل عندها لا بها ويقولون ان قدرة العبد لا تاثير لها
في الفعل ويقول الاشعري ان الله فاعل فعل العبد وان عمل العبد

ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى
التي في الاجسام وينكر تاثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل
ويقول انه لا اثر لقدرة العبد اصلا في فعل الا ان الاشعري
يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسب
للعبد لكنه يقول لا تاثير لقدرة العبد في ايجاد المقدور وهو
مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي اثبته
الاشعري غير معقول ويلزم ان لا يكون فرق بين القادر والعاجز
وان اثبت قدرة وقال انها مقترنة بالكسب قيل له لم تثبت فرقا
معقولا بين ما اثبته من الكسب ونفيته من الفعل ولا بين
القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان
فان تعلق العبد يقارن حياته وعلمه وارادته وغير ذلك من
صفاته فاذا لم يكن للقدرة تاثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين
القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد
مؤثرة في صفة الفعل لا في اصله كما يقوله القاضي ابو بكر ومن وافقه
فانه ان اثبت تاثيرا بدون خلق الرب لزم ان يكون بعض الحوادث
لم يخلقه الله وان جعل ذلك معلقا بخلق الرب فلا فرق بين الاصل
والصفة قيل ومذهب الاشعري يقرب في هذه المسئلة من مذهب
الجبرية الجهمية فانه يحكي عن الجهم بن صفوان وغلاة اتباعه
انهم سلبوا العبد قدرته واختياره حتى قال بعضهم ان حركة

لعبد
فعل

حركة الاشجار بالرياح فالوا ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا اثر
لقدرة العبد اصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله وينكر ان يكون
لها حكمة ورحمة وينكر ان يكون للعبد فعل او قدرة مؤثرة قال وحكي
عنه انه كان يخرج الى الجذمي ويقول ارحم الراحمين يفعل هذا انكارا لان
يكون له رحمة يتصف بها سبحانه زعما منه ان ليس المشيئة محضة لا
اختصاص لها بحكمة بل يرجح احد المتماثلين بلا مرجح قال ابن تيمية
وجمهور اهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان
العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة
ولا ينكرون تاثير الاسباب الطبيعية بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل
من ان الله خالق السحاب بالرياح وينزل الماء السحاب وينبت النبات
بالماء ولا يقولون ان القوى والطبايع الموجودة في المخلوقات لا تاثير
لها بل يقرون بان لها اثرا لفظا ومعنى لكن يقولون هذا التاثير
هو تاثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب
ومع انه خالق السبب فلا بد للسبب من سبب اخر يشاركه ولا بد
من تعارض مانعه فلا يتم اثره الا مع خلق الله له بان يخلق الله
السبب الاخر ويزيل الموانع فالمسببات حينئذ يجب وجودها
عند وجود اسبابها بمعنى ان الله تعالى يحدثها حينئذ وبشا
وجودها وقال في موضع اخر الاعمال والاقوال والطاعات
والمعاصي هي من العبد بمعنى انها قايمة به وحاصلة بمشيته

وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي
من الله تعالى بمعنى انه خلقها قايمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا كما ان
يخلق المسببات باسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد صفة
قايمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة
وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها ومن الله بمعنى انه خلقه
منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار
والى اسبابها باعتبار كما قال تعالى هذا من عمل الشيطان وقال وما
انسانيه الا الشيطان مع قوله قل كل من عند الله واخبر تعالى ان
العباد يفعلون ويصنعون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ٥٥
ويفسقون ويتقون ويصدقون ويكذبون وقال في موضع
اخر ان ايمة اهل السنة يقولون ان الله خالق افعال العباد كما ٥
ان الله خالق كل شيء وانه تعالى خالق الاشياء بالاسباب وانه خلق للعبد
قدرة بها يكون فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة فقولهم في خلق
فعل العبد بارادته وقدرته كقولهم في خلق ساير الحوادث باسبابها
وقد دلت الدلايل اليقينية على ان كل حادث فالله خالقه وفعل
العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فان شاء
الله كان وان لم يشأ لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال
وجمهور المسلمين وجمهور طوايفهم على هذا القول بالوسط الذي
ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهم بن صفوان واتباعه الجبرية

في

فمن قال ان شيا من الحوادث افعال الملايكة والجن والانس يخلقها
الله فقد خالف الكتاب والسنة واجماع السلف والادلة العقلية
ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الادميين وافعالهم
العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول ان سماء الله وارضه غير مخلوقة
وبالجملة فقول محققي اهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة
العبد وارادته وفعله ويقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث
لفعله والله سبحانه جعله فاعلا له محدثا له قال تعالى وما تشاؤن الا ان
يشاء الله اثبت تعالى بذلك مشية العبد واخبر انها لا تكون الا
بمشية الرب وهذا صريح قول اهل السنة في اثبات مشية العبد ٥
وانها لا تكون الا بمشية الرب قال ابن تيمية وهذا قول جماهير اهل
السنة من جميع الطوايف وهو قول كثير من اصحاب الاشعري كابي
اسحاق الاسفرايني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل
لفعله حقيقة وله قدرة واختيار وقدرته موثرة في مقدورها
كما تواثر القوى والطبايع والاسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل
قال تعالى فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات وقال فاحيا به
الارض بعد موتها وقال يهدي به كثيرا ومثل هذا كثير في الكتاب
والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دلت
الكتاب والسنة على اثبات القوى والطبايع للحيوان وغيرهم
كما قال تعالى واتقوا الله ما استطعتم وقال هو اشد منهم قوة فهو

لا

يثبتون للعبد قدرة ويقولون ان تاثيرها في مقدورها
كتاثير سائر الاسباب في مسبباتها على ما تقدم قريبا
واما الفرق بين الافعال الاختيارية الواقعة عن قصد والافعال
الاضطرارية كحركة النبض والمرتعش والواقع من ناهض فهو امر
اضطراري لا ينازع فيه احد من ائمة المسلمين الذين لهم لسان صدق
في الدين هذا وقد صار الامام في اخر عمره الى ان القدرة ه
الحادثة تؤثر في اصل ايجاد الفعل كما ذهبت اليه المعتزلة الا انه
قال ان العبد انما يوقع ما يوقعه على اقدار قدرها الله تعالى كما
ذهب اليه ابن تيمية قال الامام وهذا المذهب هو الجامع لمحاسن
المذاهب فان القدرة اذا لم تؤثر من وجه البتة لم يحسن التكليف
ولا تخصيص فعل ما بثواب ولا عقاب كما الزمته المعتزلة للاشعري
ومن قال ان العبد لا يوقع الا ما قدر الله له وما شا ان يوقعه
لم يلزمه ما الزم المعتزلة من مخالفة الاجماع وهو ما شا الله كان
وما لم يشا لم يكن ولا المحذور اللازم من تقدير الطين قال ابن
التلمساني وما ذكره لا ينجيه من الجبر فان العبد اذا كان لا يوقع
الا ما خصصه الله به وقدر انتفاعه فعند ذلك لا يتاتى منه
الفعل بدون ذلك واذا اراد الله ذلك فلا يتاتى منه الترك
البتة فالجبر لازم وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فان قيل
حيث قلتم ان فعل العبد كله مخلوق لله وانه اذا جعل الله فاعلا

وجب وجود ذلك وخلق الفعل يستلزم وجوده فيقتضي ذلك
الجبر وهو باطل قال والجواب ان لفظ الجبر لم يرد في كتاب ولا سنة
فان المشهور من معناه في اللغة ان اطلاق الجبر والاجبار انما يكون
على ما يفعل المجبور مع كراهته كما يجبر الاب ابنته على النكاح وهذا
المعنى منتف في حق الله تعالى فانه سبحانه لا يخلق فعل العبد الاختياري
بدون اختياره بل هو الذي جعله مختارا لما يريده وهذا لا يقدر عليه
الا الله ولهذا قال من قال من السلف الله اعظم واجل من ان يجبر انما
يجبر عبده من لا يقدر على جعله مختارا والله تعالى يجعل العبد مختارا
فلا يحتاج الى جبار ولهذا قال الامام الاوزاعي وغيره نقول
جبل ولا نقول جبر والمنصوص عن ائمة الاسلام مثل الاوزاعي ه
والثوري وعبد الرحمن بن مهدي واحمد بن حنبل وغيرهم ان
لفظ الجبر لا يثبت ولا ينفى فلا يقال جبر ولم يجبر فان قال السائل
انا اريد بالجبر معنى ان نفس جعل الله العبد قادرا فاعلا للفعل
يستلزم الجبر قيل له هذا المعنى حق ولا دليل على ابطاله وحذاق
المعتزلة كابي الحسين البصري وامثاله يسلمون ان مع وجود الداعي
والقدرة يجب وجود الفعل وسلموا ان الله خلق الداعي والقدرة
فلو لم يكن الله خالق افعال العباد لكن لم يقولوا بذلك وابو
الحسين هذا وان كان يدعي الغلو في الاعتزال حتى ادعى العلم بان
العبد يوجد افعاله اضطرارية كان ايضا عظيم الغلو في القول بالجبر

وحيث قلنا ان حقيقة القول ان الله سبحانه هو الخالق لفعل العبد
فاذا قالت القدرية هذا بيان في كون العبد مختارا لانه لامعنى
للمختار الا معنى كونه قادرا على الفعل والترك وانه ان شاء فعل
هذا وان شاء فعل هذا قيل لهم هذا مسلم ولكن هل هو قادر على الفعل
والترك على سبيل البدل او على سبيل الجمع والثاني باطل فان الفعل
والترك ضدان واجتماعهما ممتنع والقدرة لا تكون على ممتنع فعلم
ان قولنا قادر على الفعل والترك اي يقدر ان يفعل في حال
عدم الترك ويقدر ان يترك في حال عدم الفعل فقول القائل
القادر ان شاء فعل وان شاء ترك هو على سبيل البدل لانه يقدر
انيشا الفعل والترك معا بل حال مشيته للفعل لا يكون مريدا
للترك وحال مشيته للترك لا يكون مريدا للفعل فحال كونه
شا للفعل مع القدرة التامة يجب وجود الفعل وحال وجود
الفعل يمتنع ان يكون مريدا للترك مع الفعل وان يكون قادرا
على الترك مع الفعل والتخيير بينهما انما يكون عند عدمهما جميعا
واما حال الفعل فيمتنع الترك وحال الترك يمتنع الفعل وحينئذ
فالفعل واجب حال وجوده لا في الحال التي كان مخيرا فيها بين
الفعل والترك نعم قد يكون الفاعل حال الفعل مريدا للترك ٥
بعد الفعل وهذا الترك ان ليس هو ترك ذلك للفعل في حال
وجوده فتامل

اذا تقرر هذا فاعلم ان مذهب جمهور اهل السنة ان افعال الانسان
الاختيارية مستندة اليه وانه فاعل لها والله خلقه فاعلا وانه مريد
مختار والله جعله مريدا مختارا فالماشي مثلا يمشي حقيقة والله
جعله ماشيا بمنزلة مريض مشى بين اثنين ولله المثل الاعلى ٥
ويثبتون للعبد قدرة هي مناط الامر والنهي وان اختلفوا
هل هي مؤثرة في مقدورها او في بعض مقدورها او في بعض
صفاته او لا تاثير لها والفخر الرازي يثبت هذه القدرة ويوضح
بانه يقول بالجبر والجمهور يقولون ان لقدرة العبد تاثيرا في فعله
من جنس تاثير الاسباب في مسبباتها وليس لها تاثير الخالق والابداع
ولا وجود لها كعدمها وهذه القدرة قد تكون قبل الفعل ولا
يجب ان تكون معه ويقولون ايضا ان القدرة التي يكون بها الفعل
لابد ان تكون مع الفعل اذ لا يجوز ان يوجد الفعل بقدرة معدومة
ولا بارادة معدومة كما لا يوجد بفاعل معدوم ولهذا القدرية ٥
فيزعمون ان القدرة لا تكون الا قبل الفعل ومن قابلهم يقولون
لا تكون الا مع الفعل قال ابن تيمية وقول الائمة والجمهور هو ٥
الوسط من انها لابد ان تكون معه وقد تكون مع ذلك قبل وتلك
القدرة تكون متقدمة على الفعل كما قال تعالى ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا فاوجب الحج على المستطيع فلو لم ٥
يستطع الا من حج لم يكن الحج قد وجب الا على من حج ولم يعاقب احد

على ترك الحج وهذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام
وقال تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فاوجب التقوى بحسب
الاستطاعة فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى لم يكن قد
اوجب التقوى الا على من اتقى ولا يعاقب من لم يتق وهذا خلاف
المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ايضا ولا انما قالوا هذا لان
القدرة مع الفعل عندهم قالوا ان القدرة لا تكون
الا قبل الفعل لتكون صالحة للضدين الفعل والترك واما حين
الفعل فزعموا انه حينئذ لا يكون قادرا لان القادر لا بد ان يقدر
على الفعل والترك وحين الفعل لا يكون قادرا على الترك فلا
يكون قادرا وانما السنة يقولون لا بد ان يكون قادرا حين
الفعل ويكون ايضا قادرا قبل الفعل وقال طائفة منهم
لا يكون قادرا الا حين الفعل وهم لا يقولون ان القدرة لا تصلح
للضدين فان القدرة المقارنة للفعل لا تصلح الا لذلك
الفعل وهي مستلزمة له لا توجد بدونه فان المقارن للشيء مستلزم
له لا يوجد مع عدمه فان وجود الملزوم بدون اللازم ممتنع
وهذا قالته القدرية بناء على اصلهم الفاسد وهو ان اقدار الله للمؤمن
والكافر والبر والفاجر سواء فلا يقولون ان الله خص المؤمن المطيع
باعانة حصل بها الايمان بل يقولون ان اعانته للمطيع والعاصي سواء
ولكن هذا بنفسه رجح الطاعة كالوالد الذي اعطى كل واحد من ابنيه

سيفا فهذا جاهد به في سبيل الله وهذا قطع به الطريق او اعطاهما
مالا فهذا انفقه في طاعة الرحمن وهذا انفقه في طاعة الشيطان
وهذا القول فاسد باتفاق اهل السنة والجماعة فانهم متفقون
على ان لله على عبده المؤمن المطيع نعمة دينية خصه بها دون الكافر
وانه اعانه على الطاعة اعانة لم يعن بها الكافر كما قال تعالى ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم الآية وقال فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام والآيات في مثل هذا كثيرة تبين ٥
اختصاص عباده المؤمنين بالهدى والايمان والعمل الصالح ٥٥
والعقل يدل على ذلك ايضا فانا اذا قدرنا ان جميع الاسباب الموجبة
للفعل من الفاعل كما هي من التارك كان اختصاص الفاعل بالفعل
ترجيحا لاحد المثلين على الآخر بلا مرجح وذلك معلوم الفساد ٥
بالضرورة وهذا هو الاصل الذي بنوا عليه اثبات الصانع فانهم
قدحوا في ذلك انسد عليهم طريق اثبات الصانع وغايتهم ان قالوا
القادر المختار يرجح احد مقدوريه على الآخر بلا مرجح وهذا فاسد
فان مع استواء الاسباب من كل وجه يمتنع الرجحان وايضا فقول
القائل يرجح بلا مرجح ان كان لقوله يرجح معنى زائد على وجود ٥
الفعل وذلك هو السبب المرجح وان لم يكن له معنى زائد كان حال
الفاعل قبل وجود الفعل كحاله عند الفعل ثم الفعل حصل في احد
الحالين دون الآخر بلا مرجح وهذا مكابرة للعقل فلم كان

شبكة الألوكة www.alukah.net

قوله كلاهما في قوله ولا قائل بالفرق الخ
اقول ان كلا منهما في الاقتدار بحسب ما يليق به
لان الاعانة لا تكون الا في الطاعات دون المعاصي
فالعاجز عن الطاعة لا يقدر على الطاعة والقادر عليها
قادر عليها لقوله تعالى ان يعينهم على الطاعة
ولم يقل به احد من المعتزلة وغيرهم

اصل قول القدرية ان فاعل الطاعات وتاركها كلاهما في الاعانة
والاقتدار سواء امتنع عليهم ان يكون مع الفعل قدرة تختص
لان القدرة التي تخص الفعل لا تكون للتارك وانما تكون للفاعل
والقدرة لا تكون الا من الله وما كان من الله لم يكن مختصا بحال
وجود الفعل ثم لما راوا ان القدرة لابد ان تكون قبل الفعل قالوا
لا تكون مع الفعل فان القدرة هي التي يكون بها الفعل والترك
وحال وجود الفعل يمتنع الترك كما تقدم قال ابن تيمية وهذا
باطل قطعا فان وجود الاثر مع عدم بعض شروط الوجود يمتنع
بل لابد ان يكون جميع ما يتوقف عليه الفعل من الامور الوجودية
موجودا عند الفعل فنقيض قولهم هو الحق وهو ان الفعل لابد
ان يكون معه قدرة لكن صار امثل اثبات القدرة للعبد هنا
فريقين فريقا قالوا لا تكون القدرة الا مع الفعل ظنا منهم ان
القدرة نوع واحد وظن من بعضهم ان القدرة عرض لا تبقى
زمانين فيمتنع وجودها قبل الفعل والصواب الذي
عليه ائمة الفقه والسنة ان القدرة نوعان نوع مع الفعل مقارن
له ونوع صحيح للفعل يمكن معه الفعل والترك وهذه هي التي يتعلق
بها الامر والنهي وتحصل للمطيع والعاصي وتكون قبل الفعل وتبقى
الى حين الفعل اما بنفسها عند من يقول ببقاء الاعراض واما بتجدد
امثالها عند من يقول ان الاعراض لا تبقى وهذه قد تضاف للضدين

والله

2

وامر الله لعباده مشروط بهذه الطاقة فلا يكلف الله نفسا الا
معه هذه الطاقة وضد هذه العجز ، ، ، ، ،
واعلم ان على هذه المسئلة ينبني مسئلة تكليف ما لا يطاق
فمن قال ان القدرة لا تكون الا مع الفعل كالاشعري وغيره يقول
كل كافر وفاسق قد كلف ما لا يطاق لان من سبق في علم الله انه
لا يؤمن لا يقدر على الايمان ابدا وبعضهم قال هذا تكليف بالمستحيل
وكنت مشيت على هذا في كتابي البرهان في تفسير القرآن في اول
سورة البقرة عند قوله تعالى سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون ومن قال ان القدرة المشروطة في التكليف تكون
قبل الفعل وبدون الفعل وقد تبقى الى حين الفعل والقدرة
المستلزمة للفعل لابد ان تكون موجودة عند وجوده يقول
انه لم يكلف ما لا يطاق قال ابن تيمية بل كلف ما اطاق قال ابن
تيمية وهذا قول جمهور ائمة السنة واتباعهم فان الله تعالى قد
اوجب الحج على المستطيع حج اولم يحج واوجب صيام الشهرين في
الكفارة على المستطيع كفر اولم يكفر واوجب الاسلام على الكافر
اسلم اولم يسلم واوجب العبادات على القادرين دون العاجزين
فعلوا اولم يفعلوا ثم اعلم ان تكليف ما لا يطاق ينقسم الى
قسمين احدهما ما لا يطاق للعجز عنه بطريق الالات كتكليف
المقعد القيام والمشي وتكليف الانسان الطيران والاعمى نقط

المصاحف فهذا غير واقع في الشريعة ولم يكلف الله به احدا
ثانيهما تكليف ما لا يطاق للاشتغال بضده مع سلامة
الالة كتكليف الكافر الايمان مع سبق علم الله بانه لا يؤمن
والتكليف بهذا واقع بالاتفاق فاشتغال الكافر بالكفر هو الذي
صده عن ضده الذي هو الايمان فانه بمنزلة القاعد المامور بالقيام
فان اشتغاله بالقعود هو الذي يمنعه ان يكون قائما والارادة
الجازمة لاحد الضدين تنافي الضد الاخر وتكليف الكافر
والعاصي السابق علم الله وقدره فيهما من هذا الباب وتكليف
مثل هذا ليس بقبيح شرعا ولا عقلا عند احد من العقلاء بل العقلاء
متفقون على امر الانسان ونهيه بما لا يقدر عليه حال الامر والنهي
لاشتغاله بضده اذا امكن ان يترك ذلك الضد ويفعل الضد
المامور به فان السيد لا يامر عبده الاعمى بنقط المصاحف
ويامره ان يقوم ويعلم بالضرورة الفرق بين هذا وهذا
وتكليف ما لا يطاق للاشتغال بضده لا نزاع في وقوعه كما
تقدم وانما النزاع هل يسمى هذا تكليف ما لا يطاق لكونه تكليفا
بما انتفت فيه القدرة المقارنة للفعل فمنهم من يدخل هذا في
تكليف ما لا يطاق كما يقوله القاضي ابو بكر والقاضي ابو يعلى
وغيرهما فانهم يقولون ما لا يطاق قسمان ما لا يطاق للعجز عنه
وما لا يطاق للاشتغال بضده ومنهم من يقول هذا لا يدخل في

تكليف

تكليف ما لا يطاق قال ابن تيمية وهذا هو الاشبه بما في الكتاب
والسنة وكلام السلف فانه لا يقال لمن قدر على الحج اذا امر به
انه كلف ما لا يطيق فان الله خلق له القدرة المشروطة في التكليف
المصححة للامر والنهي كما في العباد اذا امر بعضهم بعضا فما يوجد
من القدرة في ذلك الامر فهو موجود في امر الله لعباده بل تكليف
الله اليسر ورفعه للمشقة والحرج اعظم والناس يكلف بعضهم
بعضا اعظم مما امرهم الله ورسوله ولا يقولون هذا تكليف
ما لا يطاق ومن تامل احوال من يجدهم الملوك والاكابر ويسيئ في
طاعتهم وجد عندهم من ذلك ما ليس عند المجتهدين في العبادة
لله تعالى ولهذا قوله سبحانه وكانوا لا يستطيعون سمعا لم يرد به هذا
فان جميع الناس قبل الفعل ليس معهم القدرة الموجبة للفعل فلا
يختص بذلك العصاة بل المراد انهم يكرهون سماع الحق كراهة شديدة
لا تستطيع انفسهم معها سماعه لبغضهم ذلك ونفورهم منه لا لعجز
عنه كما ان الحاسد لا يستطيع الاحسان الى المحسود لبغضه له لا
للعجز عنه وعدم هذه الاستطاعة لا تمنع الامر والنهي فان الله يامر
الانسان بما يكرهه كالقتال وينهاه عما يحبه كهوى النفس وليس
من شرط المامور به ان يكون العبد مريدا له ولا من شرط المنهي عنه
ان يكون العبد كارها له فان الفعل يتوقف على القدرة والارادة
والمشروط في التكليف ان يكون العبد قادرا على الفعل لا ان

يكون مريدا له لكنه لا يوجد الا اذا كان مريدا له فالارادة شرط في
وجوده لا في وجوبه اذا علمت هذا علمت ان الله
تعالى لم يكلف العباد ما لا يطيقون لقوله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها وانما كلفهم بما في وسعهم وطاقتهم فان العبد له
قدرة وارادة وفعل حقيقة يقدر به على فعل ما كلف به وعلى تركه
كما تقدم وان كان الله تعالى هو خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء
فان خلقه القدرة في العبد مع سلامة الالات مع الارشاد
والبيان لما هو النافع والضار بعثت الرسل المزيحة للعلل ۵
محض فضل منه تعالى وقد اختلف العلماء في حكمة تكليف
المكلفين وعقاب العاصين وانقسموا في ذلك قسمين اهل الحكمة
والتعليل واهل المشية والتفويض فقال اهل المشية لا حكمة
في تكليف المكلفين وعقاب العاصين الا محض المشية الالهية فهو
سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
وقال اهل التعليل ان من اسمائه تعالى الحكيم فهو لا يفعل شيئا
الا لحكمة ولا يتركه الا لانتفاء الحكمة قم وان كنا نحن لا نعلم وجه
الحكمة وقالوا تكليف الله العباد ليس لاحتياجه الى ذلك
فانه سبحانه غني عن العباد بل لتزكيتهم ورفعهم من الحضيض الاسفل
فان التكليف كله ارشاد وهدي وتعريف للعباد ما ينفعهم في المعاش
والمعاد فلهذا بعث سبحانه الى البرية رسلا بما ينفعهم ويهمهم عما يضرهم

وبين

وبين لهم النافع ليرتكبوه والضار ليجتنبوه واعطى كل مكلف ۵
القدرة والارادة وسلامة الالات فيما كلف به فهو تعالى محسن
الى عباده المكلفين عموما لامره لهم بما ينفع ونهيهم عما يضر مع ۵
الارشاد والبيان وخلق القدرة فيهم ومحسن باعانته على الطاعة
لمن شاء منهم خصوصا ولو قدر ان عاصيا لحا امر الناس بما
ينفعهم ثم اعان بعض الناس على فعل ما امرهم به ولم يعن اخرين كان
محسنا الى هؤلاء احسانا تاما ولم يكن ظالما لمن لم يحسن اليه
كالطبيب اذا امر المريض بشرب الدوا ولم يكن عليه ان يعاونه
والمفتي اذا امر المستفتي بما يجب عليه لم يكن عليه ان يعاونه وان كان
قادرا على معاونته ولو قدر انه عاقب المذنبين المخالفين العقوبة
التي يقتضيها عدله وحكمته لكان ايضا محمودا على ذلك ولم يكن
ذلك ظلما وليس لهم ان يقولوا انت لم تعنا مع كوننا قادرين فاذا
امر سبحانه فرعون وابا لهب بالايمان كان قد امرهم بما ينفعهم
ويصلحهم اذا فعلوه ولا يلزم اذا امرهم ان يعينهم بل قد يكون في
اعانتهم وجه مفسدة فانه تعالى يخلق ما يخلق لحكمة وان كنا لا ۵
نعلمها وان لم نعلل افعاله بالحكمة فانه سبحانه يفعل ما يشاء وعلى كل
تقدير فهو سبحانه ليس بظالم خلافا لما قد يتوهمه من قصر فهمه
وانثنى عن ابواب السعادة عزمه وقد اختلفوا في تفسير الظلم
فقال قوم من اهل المشية والتفويض انما يكون الظلم ممن تصرف

فيما لا يعلمان والله تعالى مالك كل شيء ويروي عن ابن عباس ابن معاوية رحمهم
الله قال ما خاصمت بعقلي كله الا القدرية قلت لم اخبروني ما
الظلم قالوا ان يتصرف الانسان فيما ليس له قلت فلله كل شيء ٥
واما حمل هذا القول قالوا ان تعالى لو عذب العبد بسبب لونه
وطوله وقصره لم يكن ظالما بل قالوا انه تعالى لو عذب اهل السموات
والارض جميعا من الملائكة والانبياء وغيرهم لكان عدلا منه وحقا له
وحكمة من فعله وان كان لا يفعل ذلك ولو ينجي النار وادخل الخلق
جميعا الجنة لكان عدلا منه وحقا وحكمة كل ذلك عدل من الله لا من غيره
ولله الحجة البالغة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وانه لا يجب ولا
يحرم ولا يحسن ولا يقبح شيء الا ما اوجبه الله او حرمه او حسنه او
قبحه وقد اباح سبحانه اخذ اموال قوم بالشرق من اجل قريب لهم قتل
قتيلا خطأ بالمغرب وهذا الوطء بالتزويج حسن حلال وبالزنا قبيح
حرام بل الخمرة قبل تحريمها وبعده كذلك مع ان الصورة والعين واحدة
وكذلك ذبح الانسان بقرته وذبحه حماره فالاول حسن حلال
والثاني قبيح حرام لما فيه من تعذيب الحيوان والتصرف فيما لا يملك
فعله ولو ان شخصا قام ثم وضع راسه في الارض مطاطيا في
غير صلاة بحضرة الناس لكان بلا شك عابثا مفطوعا عليه بالرعونة
وكذا لو تجرد شخص من ثيابه امام الجموع في غير حرج ولا عمرة وكشف ٥
راسه واستدار حول بنا قائما مهرولا ورمى بالحصا لكان عند

كل

كل من يراه مجنونا بلا شك لا سيما ان امتنع من قص شاربه ولطفا
لكن لما امر الله بذلك صار كل حسنا واجبا وتركه قبيحا وانكاره كفرا
فاي مدخل للتعليل هنا او للعقل في تحسين او تقبيح كما يقوله
المعتزلة وكيف العقل يحسن او يقبح فثبت يقينا ان لا ظلم
ولا قبح الا ما نهى الله عنه ولا عدل الا ما امر الله به وفعله تعالى
اي شيء كان وتكليف ما لا يطاق والتعذيب عليه انما هو قبيح ٥
بالنسبة لنا لا بالنسبة له تعالى اذ الخلق كلهم ملكه وعبيده
على الحقيقة لا المجاز والجمهور من اهل هذا القول قالوا ان
الظلم في حقه تعالى ممتنع لذاته غير مقدور كما صرح بذلك ٥
الاشعري والقاضي ابو بكر وابو المعالي والقاضي ابو يعلى وابن الزا
وغيرهم ويقولون ان تعالى غير قادر على الظلم والكذب وغيرهما
من القبائح ولا يصح وصفه بشيء من ذلك لان ذلك مستحيل في
حقه تعالى وقدرته لا تتعلق بالمستحيل وقال اخرون من ٥
اهل الحكمة والتعليل ان الظلم مقدور عليه في حقه تعالى وهو
منزه عنه فعلا وهذا قول الجمهور من الطائفتين المثبتة والنافية
وقول كثير من اصحاب ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد ٥
وتفسير الظلم على قول هؤلاء هو تعذيب الانسان بذنب غيره
او تعذيبه بما لا ذنب له والله منزه عن كل منهما وقالوا الفرق بين تعذ
الانسان على فعله الاختياري وغير فعله الاختياري امر مستقر في

فطر العقول واما كون الرب خالقا لكل شيء فذلك لا يمنع كون العبد هو
الملوم على ذلك شرعا وعقلا وعرفا اما شرعا فواضح واما عقلا وعرفا
فلان غيره من المخلوقين يلومه على ظلمه وعدوانه مع اقرارهم بان الله
خالق ظلم العباد وجماهير الامم مقرة بالقدر وان الله تعالى خالق كل شيء
ومع هذا يذمون الظالمين ويعاقبونهم لدفع ظلمهم وعدوانهم
كما انهم يعتقدون ان الله خلق الحيوانات المضرة ومع ذلك
يسعون في دفع ضررها بالقتل وغيره ومع ايضا متفقون على ان
الكاذب والظالم مذموم بكذبه وظلمه وان ذلك وصف سيء وان
تنزيه المتصف بذلك خبيثة ظالمة لا تستحق الاكرام الذي
يناسب اهل الصدق والعدل وقد استقر ايضا في بداية العقول
ان الافعال الاختيارية يكسب بها الانسان صفات محمودة ووصفا
مذمومة بخلاف تحولونه وطوله وعرضه فانه لا فعل فيه للعبد بوجه
من الوجوه واستشكل ان خلق الفعل مع حصول العقوبة عليه ظلم
واجيب ان هذا بمنزلة ان يقال ان خلق اكل السم مع حصول الموت به
ظلم او خلق الحمى مع حصول الموت بها ظلم والظلم وضع الشيء في غير
موضعه كما ان العدل هو وضع الشيء في موضعه فكل نعمة من الله فضل
وكل نقمة منه عدل لان محسن للعبد بلا سبب تفضلا واحسانا ولا
يعاقبه الا بذنب وان كان هو قد خلق الافعال كلها لحكمة له في ذلك
واذا كان الانسان قد يفعل مصلحة اقتضتها حكمته ولا تحصل

انتهى

الا بتعذيب حيوان ولا يكون ذلك ظلما منه فالله اولى ان لا يكون
ذلك ظلما منه استحقاق هذا الفاعل لاثر فعله الذي هو معصيته
الله كاستحقاقه لاثره او اظلم العباد فتبين بهذا ان خلق الفعل
في العبد ليس بظلم سواء قيل ان الظلم ممتنع من الله او قيل انه مقدور
عليه فان الظلم الذي هو ظلم ان يعاقب الانسان على فعل غيره
ولما عقوبته على افعاله الاختيارية وانصاف المظلومين من الظالمين
فهو من كمال العدل واذا كان العقاب على فعل العبد الاختياري
بالنسبة الينا ليس بظلم فهو بالنسبة الى الرب تعالى له فيه حكمة
يحسن لاجل تلك الحكمة وبالنسبة الى العبد عدل لانه عوقب على
فعله فاظلمه الله ولكن هو ظلم نفسه وهذه المسئلة تمثل غايات
افعال الله وغاياته حكمته مسألة عظيمة لعلها اجل المسائل الالهية
لا يتسع هذا الموضع لبسط الكلام عليها واعتبر الحال لو كان
المعاقب للعاصي غير الله يظهر لك العدل وعدم الظلم فلو عاقبه
ولي الامر على ايذائه للناس فقطع يد السارق وحد القاذف وضرب
الجاني على الجرد لان عملا شنيعا فانه قد استقر في فطر الناس وعقولهم ان
ولي الامر اذا امر الغاصب برد المغصوب الى مالكه وضمنه التالف
ان يكون حاكما بالعدل ومازال العدل معروفا في القلوب والعقول
ولو قال هذا المعاقب انا قد قدرت على هذا لم يكن هذا حجة له
باتفاق العقلاء كما تقدم بيانه ولا مانع لحكم الولي ان يكون عدلا

فقال رضي الله عنه والذي
يبعثني بالحق وبر النسمة ما
وطئنا موطئا ولا اصبنا
واديا ولا علونا ثنية الا
بقضاء الله وقدره فقال
الشيخ احتسب عنا يا
مارى لي من الاجر شيئا
فقال يا ايها الشيخ
عظم الله اجرك في مسيرك
وانتم سايرون وفي منصرفكم
منصرفون ولم
تكونوا في شيء من حالاتكم
مكرهين ولا اليها
مضطرين فقال الشيخ
كيف القضاء والقدر
فقال ظننت قضاء
لعلك
كذلك لبطل الثواب
والعقاب والوعد
والوعيد والامر والنهي
لم يات ما ينهى عنه
لمذنب ولا محمدة لمحسن

منه فالله تعالى اعدل العادلين اذا اقتص للمظلوم من ظالمه في الاخرة
واحق بان يكون ذلك عدلا منه فان قال الظالم هذا كان مقدرا على
لم يكن هذا عذرا صحيحا ولا مسقطا لحق المظلوم واذا كان الله هو
الخالق لكل شيء فذلك لحكمة اخرى له في الفعل لخلقه تعالى حسن بالنسبة
اليه لما له فيه من الحكمة والفعل المخلوق قبيح من فاعله لما عليه فيه من
المضرة كما ان امر الوالي بعقوبة الظالم يسر الوالي لما له فيه من الحكمة وهو
اظهار عدله وامره بالعدل وذلك يضر المعاقب لما عليه فيه من الالم
هذا او مثل هذه الامثال ليست مثل فعل الله تعالى فان الله
ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله وقياس افعال الله
على افعال العباد خطأ ظاهر وانما هذا تقريب للمعقول والمثل لقصور
الرب من كل وجه لا يمكن في حق المخلوق فان الله ليس كمثله شيء وقد
سئل بعض الشيوخ عن امثال هذه المسائل فانشد

، ويقبح من سوان الفعل عندي ، ففعله فيحسن منك ذاكا ،

قيل ومما يبين هذا ان جهة خلق الله وتقديره غير جهة امره
وتشريعه قال امره وتشريعه مقصوده به بيان ما ينفع العباد
اذا فعلوه وما يضرهم اذا ارتكبوه بمنزلة امر الطبيب ونهيه للمريض
بما ينفعه ويضره فاخبر الله تعالى على السنة رسله بحصر السعادة
والاشقاوة وامر بما يوصل الى السعادة ونهى عما يوصل الى الشقاوة
وخلقه وتقديره يتعلق بذلك وبجملة المخلوقات فهو تعالى

بفعل

يفعل لما له فيه حكمة متعلقة بعموم خلقه وان كان في ضمن ذلك
مضرة لبعض الناس كما انه تعالى ينزل المطر لما فيه من الحكمة والرحمة
والنعمة العامة وان كان في ضمن ذلك تضرر بعض الناس بسقوط
منزله وانقطاعه بسفره وتعطيل معاشه وكذلك ارسال محمد صلى
الله عليه وسلم رحمة للعالمين وان كان في ضمن ذلك سقوط رياسة
اقوام وشقاوتهم فاذا قدر سبحانه على الكافر كفره قدره لما له في ذلك
من الحكمة والمصلحة العامة وعاقبهم لاستحقاقه بفعله الاختياري
وبالجملة فعقوبته تعالى للعصاة عدل منه باتفاق المسلمين وعفوه
ومغفرته احسان منه وفضل وهذا يقول بمن يقول ان الله خالق
افعال العباد ومن يقول انهم هم الخالقون لها ومن يقول بها افعال
لا كسب لهم قلت لكن هنا اشكالات واردة على طريقة العلل
التعليل لمرار من تعرض لها الاول ان الله تعالى قد عذب بالطوفان
من قوم نوح المذنب ومن لا ذنب له بذنب غيره كالاطفال وبقية
الحيوانات وقد تقرر ان الظلم الذي هو ظلم ان يعاقب الانسان
على فعل غيره وهذه الحيوانات قد عذبت كلها بعموم الطوفان
بذنب قوم نوح ولعل الجواب ان هذا ليس من باب التعذيب
والعقوبة وانما هو من باب الهلاك والفناء بلوغ الاجال المقدرة
على جري العادة الالهية من ان لكل موتة سببا وحينئذ فلم
يعاقب من لا ذنب له بذنب غيره الثاني ان جرم الكافر تناهى

ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب

بعقاب مما لا يليق به ظلم وهو على الله محال ولهذا قال قوم بفناء النار
وانقطاع عذاب الكفار كما بسطت الكلام على هذا في مولف
لطيف سميته توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين ولعل
الجواب ان يقال ان جرم الكافر ايضا غير متناهي لانه بموته
على الكفر استمر كافرا إلى الابد ووصف الكفر لازم له كذلك فلم يعاقب
بعقاب غير متناه الا بذنب غير متناهي الثالث انا نراه تعالى
يوم الاطفال إلى الغاية وكذلك بقية الحيوانات التي لا تكليف لها
اصلا ولعل الجواب ان هذا ليس من باب العقاب لان العقاب
ان تقع تلك العقوبة في مقابلة ذلك الذنب بخصوصه ولهذا
فلعلم من باب الابتلاء والاختبار فاعتبروا يا اولي الابصار ومما يدل
على ان هذا ليس من باب العقوبة ان الله سبحانه لا يعاقب انبياءه ورسله
الكرام مع انا نجدهم من اشد الناس بلاء وفيهم من قتل ونشر بالمنشار
فظهر ان جهة البلاء غير جهة العقوبة لان العقوبة هي التي تقع في مقابلة
الذنب لما مر ولقوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون وقوله هل تجزون
الا ما كنتم تعملون وقوله ذلك بما قدمت يداك واما ما يقع لا في مقابلة
ذنب فهو بلاء وابتلاء من الله تعالى لعباده ولكن يبقى الكلام في نفس هذه
الحكمة الكلية في هذه الحوادث فهذا ليس على الناس معرفة اسرارها
الحقيقية ويكفيهم التسليم لمن قد علموا انه بكل شيء عليم وانه ارحم
الراحمين ومن العجب قول كثير من الناس ان تعالى يوم الاطفال ليكثر

بذلك ثواب والدهم وفيه نظر لما قال الامام ابن حزم ان من
الجور والعبث تعذيب من لا ذنب له اصلا ليكثر بذلك ثواب
مذنب اخر او غير مذنب وقد يكون هذا الطفل ابواه كافرين
وايضا فبقية الحيوانات كالكلاب ونحوها فما يلقيها بالامراض
ونحوها لما ذا فلم يبق الا انا نقول لله تعالى في هذا سر من الحكمة
والعدل نوقن به ولا نعلم ما هو ولا كيف هو فتامل فانه دقيق وجد
ايضا الحيوان بعضه مسلطا على بعض بالقتل وغيره وبعض الحيوا
يوكل ولا يأكل هو حيوانا اصلا فاي ذنب كان لاحتى سلط عليه
غيره فقتله ومن ذا الذي يثاب هنا قلت وابراد مثل هذا
في هذا المقام ليس موقع في الحرج لان المطلوب من امثل الحكمة
والتعليل انما هو تعليل تكليف المكلفين وعقوبة العاصين وهذا قريب
معقول المعنى كما تقدم تقريره واما تعليل افعال الله كلها الجارية
في المكلفين وغيرهم فهذا مما لا سبيل إلى معرفته والوقوف على سر
حقيقته وفي مثل هذا المقام تخبطت الافهام فقالت طايفة ان
البهايم والاطفال لا تتالم ولا تحس بالالم وهذا جحد للضروري
ومكابرة في المحسوس وقالت طايفة ان ذلك لا يصدر الا من فاعل
الشر وقالت طايفة من غلاة الرافضة بالتزام التناسخ وقالوا
انما حسن ذلك لاستحقاقهم ذلك بجرايم سابقة اقترفوها في غير
هذه القوالب فنقلت ارواحهم إلى هذه القوالب عقوبة لهم

ومُوجب هذا التخليط تعلق امل ولا بمعرفة حقيقة اسرار
افعال الله تعالى في المكلفين وغيرهم وهذا مما لا سبيل الى معرفته
ويكفي معرفة الحكمة والتعليل في ثواب وعقاب المكلفين وهو المراد
والا فمن المحال معرفة اسرار افعاله كلها لان الرب تعالى لا يماثل الخلق لا في
ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله بل له المثل الاعلى فما ثبت لغيره من الكمال
فهو احق به وما تنزه عنه من النقص فهو احق بتنزيهه عنه سبحانه وليس
كل ما كان ظلما من العبد يكون ظلما من الرب ولا ما كان قبيحا من العبد
يكون قبيحا من الرب فانه سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا
في افعاله لكن العقل ربما شبهت في الافعال فقاسوا افعال الله على افعال
خلقه وهو من افسد القياس ولهذا قال جمهور المعتزلة وحدنا في
الشاهد ان من فعل الجور كان ظالما جائرا ومن اعان فاعله عليه
فعلم ثم عاقبه عليه كان جائرا عابثا والعدل من صفات الله والظلم
منفي عنه تعالى باتفاق المسلمين قال ابن حزم وليس الامر كما ظنته
عقولهم الحاكمة على الله تعالى في انه لا يحسن منه تعالى الا ما حسنته
عقولهم وانه يقبح منه ما قبحته عقولهم قال والحق ان كل ما فعله الله
سبحانه فهو حق وعدل اي شيء كان وان كان مناجورا وسفها ٥
وقالت طائفة ان من خلق خلقا ثم سلط بعضهم على بعض فهو
ظالم جائر عابث فقالوا ان خالق الخير غير خالق الشر وقالت
البراهمة ان من العبث والجور وخلاف الحكمة ان يعرض الله عباده

لما يعلم انهم يعصونه فيه ويستحقون العذاب عليه يريدون بذلك
ابطال الرسالة والنبوات وموجب هذا كله قياس افعال الله على افعال
خلقه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وليس على العباد ان يعلموا
تفصيل حكمة الله في كل شيء بل يكفيهم العلم العام والايمان التام
والله اعلم واما الجواب عن الخامس وهو ان ذلك لازم
عليه لزام الانبيا وانقطاع حجتهم الى اخره فنقول الجواب عن هذا
من وجوه الاول ان هذا انما يكون الزاما وانقطاعا لو كان ٥
الاحتجاج بالقدر سائغا فاما اذا كان الاحتجاج به باطلا بطلا
ضرورة مستقرا في الفطر والعقول كما تقدم لم يكن هذا الاعتراض
متوجها وايضا فمن المستقر في فطر الناس وعقولهم انه من طلب
منه فعل من الافعال الاختيارية لم يكن له ان يحتج بمثل هذا ومن
طلب دينا له على اخر لم يكن له ان يقول لا اعطيك حتى يخلق الله
لي الاعطا ومن امر عبده لم يكن له ان يقول لا افعله حتى يخلق الله
في فعلا او القدرة على ذلك وهذا امر جبل عليه الناس حسلهم
وكافرهم مقرهم بالقدر ومنكرهم ولا يخطر ببال احد منهم الاعتراض
بمثل هذا فاذا كان هذا الاعتراض معروف الفساد في بداية العقول
لم يكن لاحد ان يحتج به على الرسول الثاني ان الرسول يقول له انا اذكر
لك ان فعلت ما امرتك به نجوت وسعدت وان لم تفعله عوقبت
كما قال صلى الله عليه وسلم لما صعد الصفا ونادى قومه فاجابوه ٥

ل
ص ليس على العباد
ان يعلموا تفصيل حكمة
الله في كل شيء
نا
ض

فقال ارايتم لو اخبرتكم ان عدوا مصبحكم اكنتم مصدقي فقالوا
ماجربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
ومن المعلوم ان من انذر بعدو لم يقل لينذيره قال الله يخلق في قدرة
على الفرار حتى افر بل يجتهد في الفرار والله تعالى هو الذي يعينه على
الفرار فهذا الكلام لا يقوله الا مكذب للرسول المنذر اذ ليس في
العقل مع تصديق المنذر الاعتلال بمثل هذا واذا كان هذا تكذيبا
حاق به ما حاق بالمكذبين فانه لا يقال لاحد من الناس هذا العدو
قد قصدك او هذا السبع او هذا السيل المنحدر ويقول لا اهرب
حتى يخلق الله في الهرب بل يحرص على الهرب ويسال الله الاعانة
وكذلك المحتاج للطعام والشراب واللباس فانه لا يقول لا اكل
ولا اشرب ولا البس حتى يخلق الله في ذلك الثالث ان يقال
مثل هذا الكلام اما ان يقوله من يريد الطاعة ويعلم انها تنفعه
او من لا يريدها ولا يعلم انها تنفعه وكلاهما يمتنع منه ان يقول
مثل هذا الكلام فان من اراد الطاعة وعلم انها تنفعه اطاع قطعا
اذا لم يكن عاجزا فان نفس الارادة للطاعة مع القدرة توجب
الطاعة فانه مع وجود القدرة والداعي التام يجب وجود المقدور
كما تقدم ومن اراد النطق بالشهادتين مثلا ارادة جازمة نطق
بهما قطعا لوجود القدرة والداعي التام ومن لم ينطق علم انه لم يرد
ومن لم يرد الطاعة فيمتنع ان يطلب من الرسول ان يخلقها فيه

فانه

فانه اذا طلب من الرسول ان يخلقها الله فيه كان مريدا لها ولا يتصور ان
يقول مثل ذلك الا مريد ولا يكون مريدا للطاعة الا ويفعلها
الرابع ان يقال له انت متمكن من الايمان قادر عليه فلو اردته
فعلته وانما لم تؤمن لعدم ارادتك له لا لعجزك عنه وعدم قدرتك
عليه فان قال قل لله يجعلني مريدا للايمان قيل له ان كنت تطلب
منه ذلك حقيقة فانت مريد للايمان وان لم تطلب ذلك حقيقة
فانت كاذب في قولك فان قال فكيف يامرني بما لم يجعلني مريدا له
لم يكن هذا طلبا للارادة بل مجرد عناد ومكابرة ومخاصمة
ومثل هذا ليس على الرسول جوابه ولا في ترك جوابه انقطاع
لانه عنيد مكابر في المحسوس وجوابه ولا في ترك جوابه جنيد
ليس الا السيف والجهاد فيه ولذلك شرع الله تعالى الجهاد لقمع
امثال العناد وردع المكابر من العباد " " " "

خاتمة اعلم ان في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى دقة وخفاء ان ظاهر تفسيره واضح جلي وحقيقة معناه
غامض خفي فانه اثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر
ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم
رمى الله تعالى وبعضهم يقول وما رميت حقيقة اذ رميت
مجازا ولكن الله رمى حقيقة وقد احتج بعض المثبتة للقدر
بهذه الاية على ان الله تعالى خالق افعال العباد وبعضهم توهم

ان تعالى هو الموصوف بذلك حقيقة لظاهر هذه الاية ظنا منه
ان تعالى لما خلق الرامي والرمي كان سبحانه هو الرامي في الحقيقة وهذا
غلط بلا ريب فانهم متفقون على ان العاصي هو المتصف بالمعصية
والمذموم عليها فان الافعال يوصف بها من قامت به لا من خلقها
فان الله تعالى لا تقوم به افعال العباد ولا يتصف بها ولا يعود
اليه احكامها التي تعود الى موصوفاتها واذا كان ما لا يتعلق ۝
بالارادة والاختيار كالطعوم والالوان توصف بها محالها لا خالقها
في محالها فكيف الافعال الاختيارية ولهذا قال بعض المحققين ان
افعال العباد مخلوقة لله وهي فعل العبد واذا قيل هي فعل الله
فالمراد انها مفعوله لا انها هي الفعل الذي هو مسمى المصدر فان
الجمهور يقولون ان الله خالق افعال العباد كلها والخلق عندهم
ليس هو المخلوق فيفرقون بين كون افعال العباد مخلوقة مفعولة
للرب وبين فعله الذي هو المصدر فانها فعل للعبد بمعنى المصدر
وليست فعلا للرب بهذا الاعتبار بل هي مفعوله له والرب لا يتصف
بمفعولاته وهنا يلتبس الحال على من لا يفرق بين فعل الرب ومفعوله
كما يقول ذلك الجهم ومن وافقوه وقد تقرر الفرق بين ما خلقه صفة
لغيره وبين ما اتصف هو به في نفسه والفرق بين اضافة المخلوق
الى خالقه واضافة الصفة الى الموصوف بها قال ابن تيمية
وهذا الفرق معلوم باتفاق العقلاء فانه تعالى اذا خلق لعبد

حركة لم يكن هو المتحرك بها واذا خلق للوعد ونحوه صوتا لم يكن هو
المتصف بذلك الصوت واذا خلق الالوان في النبات والحيوان
والجماد لم يكن سبحانه هو المتصف بتلك الالوان واذا خلق في
عبد علما وقدرة وحياة او كذبا او كفرا لم يكن هو المتصف بذلك
كما اذا خلق فيه طوافا وساعيا ورميا حجارة وصيانا وراكعا وساجدا لم
يكن هو الطايف والساعي والراكع والساجد والراعي بتلك الجمار
قال وقوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى معناه
ما اصبت اذ حذفت ولكن الله هو الذي اصاب فالمضاف
اليه الحذف باليد والمضاف الى الله الايصال الى العدو واصابتهم
به قال وليس المراد بذلك ما يظنه بعض الناس انه لما خلق الرامي
والرمي كان هو الرامي في الحقيقة فان ذلك لو كان صحيحا لكونه
خالقا لرميه لاطرد ذلك في سايز الافعال ويقال وما مشيت
ولكن الله مشى وما لطمته ولكن الله لطم وما ضربت بالسيف ولكن
الله ضرب وما ركبت الفرس ولكن الله ركب وما صمت وما
صليت وما حججت ولكن الله صام وصلى وحج قال ومن المعلوم
بالضرورة بطلان هذا كله قال وهذا من غلو المثبتين
للقدر ولهذا يروى عن عثمان بن عفان انهم كانوا يرمونه
بالحجارة لما حصر فقال لهم لما ذا ترمونني فقالوا اما رميناك
ولكن الله رماك فقال لهم ان الله رماني لاصابني ولكن انتم

ترمونني وتخطيوني قال وهذا مما احتج به القدرية النفاة على ان
الصحابة لم يكونوا يقولون ان الله خالق افعال العباد كما احتج بعض
المثبتة بقوله تعالى ولكن الله رمى وكلاهما خطا انتهى كلام ابن تيمية
رحمه الله **قلت** والظاهر ان الضابط فيما يضاف اليه
تعالى وينسب له هو ما انفرد سبحانه بايجاده من غير فعل للعبد فيه
ولو صورة وهو المسبب دون السبب المتصف به العبد فيقال
مثلا وما قتلت ولكن الله قتل لان القتل هو زهوق الروح وهو
مسبب عن القتل ناشئ عنه حاصل بفعل الله خاصة وكذا ما داواك
الطبيب او ما شفاك ولكن الله شفاك وما شربت ولكن الله ارواك
وما اكلت ولكن الله اشبعك وما ضربت ولكن الله آلم على معنى
ما ضربت ضربا مؤلما ولكن الله آلم وما سودت لون الثوب
ولكن الله سوده لان كل واحد من هذه الامور سبب والله خالق
المسبب بدون مشاركة صورية كما في قوله تعالى ولكن الله رمى
فان الاصابة مسببة عن الرمي الذي هو السبب ولا ينازع احد في
ان الامر بالاسباب الموجبة كالقتل والتداوي ليس امرا بمسبباتها
الذي هو الزهوق والشفا وامام حيث الخلق فيضاف اليه
سبحانه كل مخلوق لان من المعلوم ان كل مخلوق يقال هو من الله بمعنى
ان الله خلقه بائنا عنه لا بمعنى انه قام به واتصف به هذا وقد
تم كثير من زنادقة المتصوفة من نحو قوله تعالى وما رميت

اذ رميت ولكن الله رمى وقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
ان العبد هو عين الرب تعالى الله عن ذلك **قال العلامة** المفتي
ذو الوزارتين ابو عبد الله محمد بن الخطيب وزير سلطان
الاندلس في كلامه على راي اهل الوحدة المطلقة وارتكبت
هذه الطائفة مرتكبا غريبا من القول بالوحدة المطلقة
وهاموا به ورموا واحتقروا الناس من اجله قال وتقرير
مذهبهم على سبيل الاحاطة لا فائدة فيه وحاصله ان الباري
سبحانه هو مجموع ما ظهر وما بطن وانه لا شي خلاف ذلك والطال
الكلام هو وغيره من العلماء على ذلك كما بسطت الكلام عليه في غير
هذا الموضع وسمعت باذني هذا من بعض مشايخهم
والحاصل ان هذا القول لم يقله احد من المتقدمين وانما
حدث بين المتصوفة المتاخرين وهو شر من مقالة الفلاسفة
فانهم اثبتوا وجود واجب الوجود ولم ينازع فيه الا معطل ولا
مشرك الا ان بعض الناس قالوا ان هذا العالم حادث بنفسه
وليس هذا القول معروف لطائفة يذهبون اليه فان حدوث الحوادث
بلا محدث بطلانه من ابين العلوم الضرورية غايته ان الفلاسفة
تقول ان الفلك متحرك حركة اختيارية بسببها تحدث الحوادث
من غير ان يكون قد حدث من جهة الله ما يوجب حركته فان حركة
الفلك عندهم بالاختيار كحركة الانسان فلم يثبتوا لحركة الفلك

محدثا احدثها غير الفلك كما لم تثبت القدرية لافعال الحيوان
محدثا احدثها غير الحيوان وهذا كان الفلك عندهم حيوانا كبيرا
يتحرك للتشبيه بالعلة الاولى لحركة المعشوق للعاشق فذلك
المعشوق المحبوب هو المحرك لكون المتحرك اجرا لا لكونه ابدع
الحركة ولا فعلها وهذا قالوا ان الفلسفة هي التشبيه بالاله
على حسب الطاقة وفي الحقيقة ليس عندهم الباري الها للعالم ولا
ربا للعالمين بل غاية ما يثبتونه ان يكون شرطا في وجود العالم وان كمال
المخلوق ان يكون متشبها به هذا ومقالة من يقول ان الرب عين
العبد هي شر من مقالتهم ولا الفلاسفة وقد دخل كثير من اهل الاسلام في
طرق مبتدعة يطول ذكرها واخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد
الالهية واثبات حقايق اسما الله وصفاته ولم يعرف كثير منهم من
التوحيد الا توحيد الربوبية وهو ان الله رب كل شي وخالقه وهذا
التوحيد كان يقر به المشركون الذين قال الله عنهم ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال عنهم وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون قالت طايفة من السلف يقول
لهم من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون
غيره وان التوحيد الذي امر الله به العباد هو توحيد الالوهية
المتضمن لتوحيد الربوبية بان يعتقد اثبات الله وصفاته
ويعبده ولا يشرك به شيا والعبادة تجمع غاية الحب

مصطلح الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية

واعلم

وغاية الذل لله سبحانه ورزقنا الله تعالى ذلك وثبتنا عليه امين
تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه قبيل ظهر
اخر يوم من شهر شعبان من شهور سنة اثنين
وثلاثين والف من الهجرة
النبوية على
صاحبها
افضل
الصلاة
والسلام

تعليقة لمن لقنه من ورقة تصحيح
بالجامع الازهر اخر شعبان
سنة ١٠٣٢